الرسالة المائة والثالثة عشر[1]

ولدي الحبيب!

قلّب صفحات التاريخ. جيلا بعد جيل. وقف عند كل ثـ ـورة مـ ـن ثورات التحرير الكبرى. يستوي في ذلك أن تكون ثورة شعب يسترد بها حقه في حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فُرض عليه أو من جيش معتـ ـد أقـ ـام، أو كانت ثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الأمر فيها على ما يحقـ ـق العدالة الاجتماعية لإبقاء الوطن الواحد، فإنك بلا جهد، ستجد أن كل شعب قام بثورة، من تلك الثورات نجحت أم انتكست قام من أجل نفسه وفي الإطار الجغرافي لوطنه. لم يفكر الثوار في ثوراتهم إلا في شـ ـعوبهم ولم تفكـ ـر تلـ ـك الشعوب إلا في نفسها وفي وطنها، لم تشذ ثورة من تلك الثورات عـ ـن هـ ـذا السلوك.

فالثورة الانجليزية، التي قامت بزعامة **(أوليفر كرومـ ـول)** في سـ ـنة (1642م) ضد طغيان **شارل الأول** بعد رفضه عريضة البرلمان المسماة **(التماس الحقوق)** التي تضمنت مطالبته بالكف عن فرض الضرائب بغير موافقة البرلمان، وعن سجن الناس بغير مبرر من القانون، لم تفكر بعد نجاحها في حاجة غيرهـ ـا من الشعوب إلى تلك الحقوق بل حاربتها بضراوة واستعمرتها، وامتصت ثرواتها بدم وعرق أفرادها الكادحين.

و**الثورة الأمريكية**، التي قامت برعاية **(جورج واشـ ـنطن)**، في وجـ ـه الاستعمار البريطاني، كان اللواء الذي سار الشعب من خلفه لملاقاة المستعمرين هو **(إعلان الاستقلال)**، الذي قرر المساواة بين الناس، وبالرغم من نجاح تلك الثورة بوضع الحرب أوزارها سنة (1972م) فلا يزال الشعب الأمريكي يعـ ـاني من التفرقة العنصرية في بلاده، ويمارس في خارجها أنواع الضغط السياسـ ـي،

---

1 2012/01/02، 16:00 سا.

على صور شتى، في شكل تكتلات عسكرية، استعمار سياسي أو اقتصـادي، كما هو الحال في أمريكا اللاتينية، وجهات أخرى متفرقة من العالم.

و**الثورة الفرنسية (ولدي)**، التي انطلقت شـرارتها في (14) جويليـة (1879م)، تحت شعار **(الحرية والإخاء والمساواة)**، والـتي انتـهت في سـنة (1893م)، بقطع رأس ملكها **لويس السادس عشر**، الذي كان الشعب يعتبره سبب نكبته، تحولت الثورة إلى حرب أهلية، لم تحترم فيها حرية، ولم يبق معها إخاء، وتنافرت معها فكرة المساواة، وظهرت خارج حدودها دولـة غازيـة، متعطشة إلى دماء الشعوب المسالمة، سواء بالنسبة إلى جيرانهـا في أوروبـا، أو بالنسبة للشعوب الوديعة الطيبة مثل الجزائر، وغيرها من البلـدان في إفريقيـا وآسيا.

والكلام يطول، لو استعرضنا مدى محافظة الثورات الأخرى، على المثل الأخلاقية، بيد أنّي أقول، بأن كل تلك الثورات، سواء منها ما حـافظ علـى مبادئه داخل بلاده أو من خرج عليها في داخلها، لم تفكر في تلك المبادئ عند معاملتها للشعوب الأخرى. وهذا سلوك غير سوي، ذلك أن المثالية لا تفـرق بين فرد أو بين شعب وشعب، لأن المبادئ بمعناها الخلقي كالديانات، كلّهـا خير وكلّها تدعو إلى الخير..

وحسبُنا في هذا الصدد، مثالية ثورتنا ومبادئها، التي بعدت عن الأنانية، فكان هذا من أسباب امتدادها إلى العالم، وحذو دول كثيرة حذوها في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

عندما يحتفل (ولدي)، وطنك الجزائر بذكرى الاسـتقلال، ومـرور خمسين سنة، على هذا الحدث، فإن هذه الذكرى العزيزة (كندي)، تضع أمام العيون عددا من الحقائق الهامة، وفي مستهلها أن هذا الاستقلال، لم يكن بحال من الأحوال، هدية منحتها فرنسا للجزائر، بل لقد كان استقلال البلاد ثمـرة لكفاح طويل، قام به الشعب الجزائري جيلا بعد جيل، فقد دفعت الجزائر من خيرة أبنائها، ثمنا كبيرا حتى تحقق هدفها العزيز، وهو الاستقلال والحرية.

هذه الحقيقة الواضحة، نذكّر بها الأذهان، وحتى تكـون ظـاهرة في سطور التاريخ وصفحاته المختلفة، ذلك أن المقاومة الجزائرية الطويلة للاحتلال العسكري الفرنسي، ومحاولات الإدماج المعنوي والديني والثقافي والاقتصـادي والسياسي، تمثل العنصر العميق للثورة الجزائرية.

وأخيرا.. لا آخرا، فإن خمسين سنة مرت على استقلال الجزائر، بكـل ماحفلت به من منجزات، وبكل ما اشتملت عليه من تحديات، كانت كافيـة لبناء دولة الاستقلال، وبرهانا ساطعا على قدرة ثورتنا، على شق طريقها نحـو مزيد من التقدم والرخاء، والازدهار.